القضايا الوجدانية في قصص محمد يونس

الباحثة/ حنان حامد محمد

لدرجة الماجستير قسم اللغة العربية – كلية الاداب – جامعة المنوفية

القضايا الوجدانية في قصص محمد يونس

جاء في المعجم الوسيط،" (وجَد) فلان _(يجِدُ) وجداً: حزن، وعليه موجْدة: غضب، وبه وجد ا: أحبه، وتواجد فلان: أرى من نفسه الوجد، و(توجد)لفلان: حزن له، وبفلانة: أحبها، والأمر: شكاه، ويقال توجّد السهر، و(والوِجدان) في الفلسفة: يطلق أولاً: على كلّ إحساس أولي باللذة أو الألم، وثانيا:على ضرب من الحالات النفسيّة من حيث تأثرها باللذة أو الألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة."[1]

أما الوجدان(Intuition) فقد عرفه برجسون(Bergeson) (١٨٥٩_١٩٤١) بأنه" ذلك النوع من المشاركة العاطفية التي بها ينتقل المرء إلى باطن الموضوع لكيما يصبح شيئا واحدا هو وما في الموضوع من مفرد نسيج وحده وبالتالي، لايقبل التعبير عنه، وبالرغم من هذا التعريف فلا يزال معنى هذه الملكة ولمكان وجودها موضوعاً لكل شك"[2]

والمجموعات القصصية لمحمد يونس لم تغفل التطرق إلى القضايا الوجدانية، لأنها من أقرب القضايا وأحبها للنفس البشرية، وأكثرها التصاقا بحياة الإنسان، فياطالما يحلم أن يعيشها الفرد محققاً الحب والسعادة، ويتمنى ألا يقترب منها إذا ماكانت مؤلمة ومحزنة كالوحدة والخوف، وتلك المشاعر نجدها داخل القصص متداخلة المضامين، فمن المسلّم به أن يشعر الإنسان بالوحدة ومن ثم يشعر بالحزن والخوف، والعكس وارد أيضا فالمشاعر البشرية الوحيدة التي تسيدت بسلطانها فوق القواعد والأعراف.

وقبل خوض غمار الحديث عن تلك المضامين، أشير بإيجاز أولاً إلى الأسباب التي دفعت الكتّاب إلى التطرق لتلك القضايا سردا وتحليلا، " فبتغير أحوال المجتمع الأوروبي في القرن العشرين ، فقد الكاتب ثقته بمؤسسات مجتمعه، التي كانت مهيمنة على الفرد، ومن هنا نتج الاستقلال الفكري لهوية الكاتب، فتمرد على الأعراف المجتمعية حوله، وأصبحت له

[1]) المعجم الوسيط : مادة وجد ، ص ١٠١٣

[2])عبد الرحمن بدوي:دراسات في الفلسفة الوجوديّة ،المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر،بيروت،ط١،ص١٢

هوية مكوناتها فنية، وبدلا من أن الواقعية كان لها بعداً خارجيا فقط إطاره مايحدث في الطبيعة، أو التاريخ، أ صبحت بعدا داخليا، وبذا تحول السرد من حوادث تتسلسل زمنيا، إلى مشاعر تعبر عن كيان النفس البشرية، وأصبحت الرواية تتجاوز تقاليد الحبكة والقصة، إلى الأحلام والمخاوف، والآمال الفردية التي تعبر عن داخل النفس، ولم تعد الرواية ثيمات مألوفة عن الحب والملهاة والمأ ساة والغنى بعد الفقر وماشابه ذلك، بل أصبحت استكشافاً لخبايا النفس التي لم يتطرق لها أحدٌ منَ قبل، بحثاً عن حقائق أعمق من الحقيقة الخارجية للحوادث والظواهر المألوفة للحس الخارجي، أي أن اهتمام الكتاب انصرف للشخصية بدلا من الحدث"[1]، ومن ثم ذاع صيت تلك القضايا تعبيرا عن كتّابها وعن البيئة المؤثرة فيهم والوسط المسبب في إنتاج تلك المشاعر وإخراجها على هذه الشاكلة، وسنتناول القضايا الوجدانية عند القاص على عدة محاور، أولها: الحب،وتركيز الضوء على ماهية الشعور بتلك الحالة من كلا الطرفين، ثانيها: الخيانة، وسنعرض لعدة رؤى وأسباب تسهم في خلق تلك القضية الشائكة،

وثالثاً: محور الحزن والألم، كونه ناتج لعدة مسببات منها الخيانة أو الوحدة والفراق واجترار الذكريات، ورابعها:الوحدة، كناتج لبتر علاقة ما أو الانفصال العاطفي، أو الفراق أو الاغتراب عن الأوطان ومفارقة الأهل، أو موت الوالدين، وختامها: محور الخوف والقلق وسنتطرق لكل منها بشيء من التوضيح.

أولا الحب:

لا ننكر أن أي قضية وجدانية يكون قوامها الحب الناشيء بين الرجل والمرأة، فهي أسمى العلاقات البشرية وأقدسها في المطلق، " **حقا إن الحب عنصر هام من عناصر القصة، بل إن الجانب الأكبر من القصص يدور حول هذه العاطفة ولكن ينبغي على الكاتب ولا سيما في مستهل حياته الأدبية أن يكبح قلمه، وأن يتناول هذه العاطفة بالأسلوب المهذب وبالصياغة السليمة وبالآداء الذي لايثير اشمئزاز القاريء الناضج، ولن أعجب**

[1]) محمد شاهين : آفاق الرواية ، البُنية والمؤثرات : موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت ، ص١١

القاريء المراهق"[1] ، ومحمد يونس قد تناول تلك الأحاسيس فيما بين الطرفين بتشكيل فني ينسجم مع طبيعة تلك العلاقة.

ففي قصة " **اللوتس**" تعرض قصة حب تنشأ بين البطل وبين صديقته الباغية" مليكة" يقول الراوي على لسان البطل: " **أحببتُها بصمت أحياناً وبشوق مجنون راعف أحياناً أخرى، وما بحت لها بذلك**"[2]، وتتطور الأحداث ويتمرد البطل على التقاليد والأعرافً ويتزوج من "مليكة" برغم الفوارق الاجتماعية، وإذا به تتبدل مشاعره من الحب والفرح والرغبة، إلى الألم والحزن والعزلة، وتُختتم القصة بحُلْم مع امرأة أخرى يجد فيه البطل متنفّسا عن الواقع الأليم الذي فُرِض عليه ، ظنا منه في باديءِ الأمر أن سعادته كانت فيه.

وعلى هذا جاءت قصص الحب عند القاص متّشحة بالذبول، ويغلبها اليأس، ويتخللها الحزن، وسرعان ماتنتهي متوجة لمشاعر اليأس والألم واستيطان العذاب قلوب المحبين.

ومن المسلّم به أن" حصول المرأة على قدر أكبر من الحرية وخروجها إلى ميدان العمل ومشاركتها الرجل في المساهمة في الإنتاج الصناعي الذي صاحب هذه التطورات الحضارية أدّى إلى أن تكون العلاقات العاطفية بين الرجل والمرأة موضوعا من الموضوعات الأثيرة في الفن القصصي المتطور"[3] ، ففي قصة (حزن في متاهات المدينة)، يسلّط القاص الضوء على هذه القضية، فها هو عبد الله الحفيان في سنته الرابعة من الجامعة، تشاجرت معه أستاذة الأدب الأجنبي المعاصر في باديء الأمر ومن ثم نشأت بينهما علاقة حب وطيدة رغم كونها تكبره بعشر سنوات، يقول القاص: " وصرنا أصدقاء، ومستعدا لضرب كل من يقول عنها أستاذة فاشلة، أو إنها أخذت شهادة دكتوراه الدولة بالغش والتزوير، وأمسيت أحبها ومازلت، ولما لاحظت تعلّقي الشديد بها، قالت:أتتزوجني؟، وكنت مقهورا لا أملك درهما واحدا، فقلت كيف لحفيان عريان مثلي أن يتزوج دكتورة مثلك، وأنت أكبر مني بعشر سنوات؟ "[4]

[1]) حسين القباني : فن كتابة القصة ، مكتبة المحتسب للنشر والتوزيع ،١٩٤٩م ، ص ١٩
[2]) محمد يونس: اللوتس،مرجع سابق، ص ١٠
[3]) يوسف الشاروني: القصة تطوّرا وتمرّدًا ، مرجع سابق ص ١٥
[4]) محمد يونس: حزن في متاهات المدينة، اللوتس، مرجع سابق، ص٥٢

وفي هذا المشهد القصصي السابق نجد القاص قد جمع مابين عدة مشاعر وجدانية تواترت تبعا للمواقف التي وقعت فيها شخصيات القصة، ففي باديء الأمر هاهي الأستاذة تعنف الطالب الجامعي أمام زملائه، وتوجه إليه الإهانة وذلك فيه من مشاعر التسلّط والقسوة، لكنه يتدارك الأمر ولا يرد عليها، حتى يلتقيا مرة أخرى وتعلن له وحدتها وانكسارها وأنها في حاجة لصداقته، وإذا بهما بمرور الوقت تنشأ بينهما صداقة، ثم يتعلّق بها، ليس فقط إلى هذا الحد بل في هذا السرد يعلن القاص عن أخطر عيوب المحبوبة كونها مدرسة فاشلة، وحصلت على شهادتها بالتزوير ، ورغم ذلك أحبها، وأفصح عن مقدرته لضرب من يتحدث عنها بسوء، وإذا بها هي التي تطلب منه الزواج، وهو برده عليها يفند أسباب استحالة ارتباطهما فهي دكتورة وتكبره بعشر سنوات، وهو لا زال صعلوكًا عاطلا، وبالمنطق تدور الأحداث على كونها مجرد ذكرى بسجلات فكره، فقد أحال الواقع بينهما.

"إن التصدي لموضوع المرأة يكتسي أهمية بالغة، كونه يعالج إشكالية مطروحة، طالما تحدثت عنها الشرائع السماوية والقوانين الوضعية، وتناولتها البرامج السياسية، كما استحوذت المرأة على القلوب أمًّا وأختا وحبيبة وخطيبة أو زوجة"[1]

وعن هذا يفصح محمد يونس برؤيته عن المرأة في وهران يقول: " المرأة في وهران والجزائر جميلة جدا وما من أحد ينكر ذلك، نخلة سامقة إن أحبتك أعطتك كل بلحها وأساورها وبيارات والدها، ومامنت عليك بشيء لا في السراء ولا في الضراء، وإن كرهتك رفستك، وما رحمتك لا في قيظ الصيف ولا قر الشتاء، هي المرأة الجميلة بقرنيها الحجريين، وعيونها الرصاصية الرمادية وشلالات شعرها، التي لاتعرف متى تنطحك، ومتى ترميك برصاصاتها، ومتى تفرد شعرها لتظلّلك حامية صادّة عنك هجير بسكرة وغرادية وتمنراست"[2] وما المرأة إلا معادلا موضوعيا للقضايا الوجدانية في كل زمان ومكان.

وعن شخصية وفاء المليانى وهي المحبوبة، يقول القاص في **(ذكريات ومواجع على ضفاف عدن): "هي ذي تهبط إليه فتحاصره بحضورها الطاغي، ثم تعيد صياغة نظرياته الفلسفية عن الكون والزمان، والغربة والمواجع، وتشعل مجامره المطفأة منذ زمن بعيد، وكم**

[1]) صالح مفقوده : المرأة في الرواية الجزائرية، ط٢ ،٢٠٠٩،دار الشروق للطباعة والنشر،بسكرة ، الجزائر، ص٨

[2])محمد يونس: اللوتس ، اللوتس، مرجع سابق ، ص٩

تمناها في تلك اللحظة، لكنها ابتعدت بنفور وحشي، وتركته مدمى وحشة وغربة، بعد أن هددته بالكلاب والوحوش والأزمنة السوداء"[1]، وهنا يكشف محمد يونس أن المرأة سلاح ذو حدين، فكما أن بقربها يتحقق الفرح والأمل، فهي أيضا التي يتسبب بعدها في الوحشة والوحدة والألم.

وها هو القاص يسوق رؤيته عن المرأة وقدرتها في إحالة العالم بالحب إلى جنة على لسان أخت البطل تقول: " **المرأة وطن وسكن وسيمفونية الرجال، وخيباتهم، لو أن قلبك اليباب هذا عرف الحب مرة لأدركت كم المرأة عظيمة وآسرة، لو أنك أحببتها لأوقدت لك المجامر والتناذير، ولسقتك نبيذاً أشهى ألف مرة من حليب أمك، لكنك وأنت الغبي الذي لم يعرف الحب مرة، لن ترى في المرأة إلا يبابا وسفينة مكسورة، وشاطئا مهجورا**"[2]، هكذا كانت المرأة شاهدا وخير وثيقة على مواثيق المشاعر والوجدان في شتى العلاقات الإنسانية السامية.

كما جاء فيما يدعم هذا المحور من هذه القضية عدة قصص في مجموعات مختلفة كانت مسرحا لتلك المشاعر وتؤكد رؤية القاص عن الحب بين الرجل والمرأة يمكن الرجوع إليها[3]

ويمكن الخلوص من خلال التأمل في هذا المحور الوجداني إلى أن:

وهناك نظرة تشاؤمية غير مبهجة تملّكت من شخصيات القصص الذين جسدوا تلك القضية، فكما أنهم يعانون نهما عاطفيا، يتضاعف لديهم شعورهم بالمعاناة والألم الفردي، فيصبح الفرد منشغلا بهمومه اليومية، ولا يعبأ بهموم الجماعة أو الآخرين من حوله.

تنقل لنا العلاقات العاطفية هاهنا تشوه الواقع الذي يعيق دونما إتمام أية قصة منهما بالزواج السعيد، حتى الزيجة الوحيدة التي تمت بقصة اللوتس لم تكن لتسعده كما تمناها البطل.

وهناك من النصوص مايؤكد أن الرجل ياطالما يود ويرغب في علاقة حميمية مع امرأة يحبها وإنما يكتفي فقط ببقائها عالقة في دائرة التمني دون التحقق.

---

[1])محمد يونس : ذكريات ومواجع على ضفاف عدن، ص٤٤

[2]) محمد يونس:المرجع السابق نفسه، ص٤٦

[3])ينظر في هذا أيضًا مجموعة اللوتس،قصّة(حالة وجد) وفي مجموعة ذكريات ومواجع، (وضبطني البحر)، وقصة (جانيت)، والرحيل إلى مدائن تيمورلنك(الرقص على أنغام زرياب) ، وحياة ريجنسي (آخر تحليقة لنورس مهاجر)

معظم الأبطال الذين جسدوا الحب عند محمد يونس، سرعان ماكانت تنتهي العلاقات الوجدانية بينهم بالفراق والبعد، فما يلبثون يشعرون الفرح بالحب حتى يأتيهم حزن الفراق بغتة، فتتقلّص لحظات السعادة، وما تلبث أن تزول، فيتملّك الألم بالنفوس، مما يعتقد أن هذا يلمس بعداً نفسيا لدى القاص يجسده على الورق..

ثانيا الخيـــــانة :

وهو ذاك الشعور الذي لايحفظ فيه أحد الطرفين حق العشرة ووالمودة وآدابها، وتغلبه نزواته الجنسية، فيتناسى أحقية الطرف الآخر في مشاعره، ويتصرف كأنه ليس له وجود بعالمه، فيميل بمشاعره ميلاً جائرا للطرف الآخر، وقد يتسبب ذلك الشعور في بتر العلاقة بين كلا الطرفين وانهائها فور العلم بتلك الفاجعة، ولكن من يغفر ذلة الآخر يعلن له بذلك تمسكه به، داعيا الله له بالهداية والثبات، وقد تطرق محمد يونس لتلك القضية في (مجموعة اللوتس) في قصة (مدينة وخمارات)، فيعرض لوجهات نظر متعددة على لسان شخصياته حول تلك القضية الوجدانية الشائكة، فتقول إحدى النساء حول هذه القضية: " **ياأختي، الزنا حرام، وبشّري الزاني والزانية بالفقر والأمراض والمصائب، والله أنا لا أخون زوجي... وتشكو الزوجة زوجها الذي خانها لوالدها، فيقول الأب: لعنة الله على الخيانة ياابنتي، والله إن لم أخن أمك لا أستطيع النوم، لقد صارت ممصوصة عجفاء، المرأة العاقلة هي التي تحافظ على زوجها وبيتها، الله يسترك، لاتسببي لي مشاكل، فاسم والدك ليس قليلا في السوق، فغفرت المهندسة لزوجها، ودعت الله أن يهديه إلى طريق الصواب**"[1]، وهنا ترضخ الزوجة لنصح أبيها، وتحافظ على كيان أسرتها من الانهيار وتغفر لزوجها نزواته، وقد ساق القاص هذه الحبكة مساهمة منه في تجاوز تلك العثرة من الزوجات لأزواجهن إذا ماتعرضن للخيانة، يقول القاص:" توجهت الزوجة إلى سيدي مسعود بتلمسان، وسفحت على ضريحه الطاهر خمسة عجول، وصدقتها خمسة آلاف دينار، وتوسلت إليه بقلب كسير أن يبعد وباء الخيانة عن زوجها، وأتت سنوات طويلة، وما أصابت الهداية قلب زوجها وعقله"[2] ، ويعقّب القاص "برأي عالم في طب الجنس: إن الخيانة لا علاقة لها بالظروف التاريخية والاجتماعية، إنها

[1]) محمد يونس: مدينة وخمّارات، اللوتس،ص ١١٨
[2]) محمد يونس: المرجع السابق نفسه، ص١١٨

دليل أكيد على زيادة الهرمونات الذّكورية أو الأنثوية عند الجنسين، وعندما تزداد هذه الهرمونات يزداد الناس شبقا"[1]

وقالت وزيرة متحررة في الجزائر جميلة الروح، لكنها قبيحة الطّلعة: "سبب الخيانة والتّهتك الجنسي، هو الرشوة وغلاء أسعار المنازل وأجورها، وتحكّم الحركيين باقتصاد البلد وتجارتها، وتهريب العملة الصعبة إلى بنوك أوربا، والبطالة وفساد القضاء، وفساد ذمم الأطباء وتكالبهم لإجراء عمليات الإجهاض وفقدان الشّباب لثقتهم بالحاضر والمستقبل، واعتبارهم الجنس والخمر قيمتين مطلقتين، بعد أن غابت القيم الوطنية والإنسانية والثّقافية"[2]، هكذا قتل القاص تلك القضية عرضا لوجهات النظر وتفنيدا لبعض أسبابها و الحلول المقترحة للتغلّب عليها.

ثالثاً الحزن والألم:

لنتّفق أن مشاعر الحزن تتواجد بالقلب نتيجة لما مضى وانتهى، ولكن تأبى الذكرى إلا أن تكون عالقة في ثنايا القلب، فطالما ظلّ الإنسان أسيرا للماضي، فلن يفرغ قلبه من مسببات الأحزان والآلام، فتتضافر عدة أسباب لتكون كفيلة ببث لواعج الحزن والألم لدى شخصيات القاص، وبهذا شكّلت التركيبة الإنسانية المعذبة والحزينة، فالهموم التي ترهق كاهل الإنسان أصبحت كثيرة، فمنها الهموم الذاتية التي تأسر الفرد وتتملك منه، ولا يستطيع هزيمتها في أغلب الأحيان، إضافة إلى الهموم الوطنية التي تنشر التشاؤم والحزن حول الفرد كالدمار والخراب في الأوطان المستعمرة، وسفك الدماء العربية ونزفها في أوطانها، دفاعا وزودا فلا يهنأون ببلادهم إ لا بتقديم أرواحهم ودمائهم الزكية فداء لها، فباتت الأحداث في معظم البلدان تستجلب الهم والحزن في القلب.

والقاص يحاول من خلال التطرق لتلك المضامين الوجدانية السلبية أن يعرض معاناة الإنسان الحديث، فتوقف عند بعض الهموم التي استوطنت جمهورية الإنسان البسيط، كالجوع المادي، الذي يجبره على الخنوع والتهميش في مجتمعه دونما إرادة، وركّز أيضا القاص على الجوع العاطفي، الذي يوقظ بالنفس مشاعر الخوف والاغتراب والعزلة، إضافة إلى ضياع أبسط حقوق الإنسان في الحياة وهي حريته المسلوبة.

[1]) نفسه ص ١٢١
[2]) نفسه ص١٢٢

وعن محور الحزن والألم في قصص محمد يونس، فنذكر قصة (اللوتس)، يقول القاص:" **صوت يعربش في داخلي حزينا مكسورا، كان خيمة بلا أوتاد، مبحوحا خانقا يتحشرج، يريد أن ينفلت، حاولت أن أعاين موضع جروحي النازفة التي تهتاج معربدة، ماوجدت موضعا واحدا، خواء رهيب، فراغ مدمر حس بالفاجع والإحباط، وتأكدت أن حياتي هي ظلال كبيرة لمآس تظل تسكر وتعربد دهورا كاملة ولا ترتوي**"[١]، وهنا يفصح السرد عن عدة أسباب مجتمعة نتج عنها حزن البطل ومعاناته وآلامه، أكثرها كان الإحباط والاغتراب الذي يحياه.

أما قصة(من ذكريات حمدان العلي الجامعيّ)، ففيها سيلٌ من فياضانات الحزن والأسى الذي يتجرعه البطل حمدان العلي يقول الراوي العليم : "**أحس أنه ممزق وغريب بلا جذور، واقتلعته المدينة ورمته كئيبا في هذه الحانة، ومرت أسراب النساء الساخنات، وفتر إحساسه بالفرح والنجاح، وتأكّد أنه لن ينجح هذا العام،.... الوحشة والخيبة تحاصران حمدان العلي، أحس بالجوع الشديد**"[٢] ، وهنا يتملّك البطل مشاعر متداخلة من الجوع والوحدة والألم، تمثل جميعها أسباب الحزن ومعاناة الشخصية في مجتمعها.

أما قصة (سفر ومواجع) تناولت أحزان البطل ومعاناته التي تسبب فيها الفقر والاغتراب، يقول القاص: "**تحسس جيوبه شبه خاوية، منذ أن ترعرع والخواء يحاصره، جاع مرار عطش في كل أماسيه، وما ارتوى يوما، لم يترك حلما جميلاً إلا واستحضره،لكن الليالي الموحشة لم تتركه ليكمل فرحه.... أطياف سوداء كابوسية هجمت عليه، سجون وجدران وفجائع، فانقبض قلبه وابتعد**"[٣] ، ويقول الراوي في موضع آخر **:" فتح صدره، أحس أنه مخنوق، افترش جريدة وجلس عليها، هبط عليها كابوس الحزن ثانية، فنسى فرحه، ببطاقة طائرته، وجواز سفره، أما من دوائر ناجع يوقف بحار أحزانه؟** "[٤]

---

[١]) محمد يونس: اللوتس: ص٧

[٢]) محمد يونس: مجموعة اللوتس، مرجع سابق ص٨٦

[٣]) محمد يونس: سفر ومواجع، ذكريات ومواجع على ضفاف عدن، ص٦١

[٤])محمد يونس: سفر ومواجع، مرجع سابق، ص٧١

ينظر في هذا أيضًا قصة (شتاءات في المنفى) مليكة والنورس ووهران، وقصة (عودة الغريب إلى مدينته)آخر تحليقة لنورس مهاجر،وقصة (الرحيل إلى مدائن تيمورلنك)الرقص على أنغام زرياب، وقصة حالة وجد (اللوتس).

وفي قصةحياة ريجنسي يتناول القاص تلك القضية بالوصف معبرا عن مشاعر البطل قائلا:" داهمته الكآبة وهذه الغربة الملعونة ، وقصفت الريح آخر نخيله، وهدمت كوخه، وسدت الرماح والنصال بوابات شرايينه، وأخذ هازم اللذات أعز صديقاته وأخواته، وأخذ أمه بعد أن دهستها سيارة...، بعد أن غابت الوالدة شعر بغصة حادة، وأحس أن مايحيط به يفقد لونه وطعمه، لم يعرف كيف يفكّر أو ينام أو يأكل، فالحزن الأسود زاده اليومي.... لم يعد قادرا على أن يتآلف والحزن، ومع تقدمه في العمر كان يأمل أن يتبدد حزنه، لكن شيئا لم يتغير"[1] والقاص هنا يسرد لأهم آثار الحزن والفاجع لدى الإنسان الفقير في طبقته المهمشة المطحونة.

ومما سبق يتبين أن القاص سلّط الضوء على أبناء الطبقة الفقيرة والمتوسطة، ممن يعانون مرارة الحياة وقسوتها، ولهذا يغلب على أبطال القاص البؤس والأسى، فقد جعل القاص كل شيء حول أشخاصه يدعو إلى الحزن وغياب الفرح، فالشخصيات يحيط بها الوحدة والاغتراب والموت والدمار وانعدام الأمن، وضياع الحب، والبطالة، فلم يعد الفرد قادرا على مواجهة كل تلك الهموم دفعة واحدة، ولكنه يظل يبحث في آخر النفق المظلم عن قبس من نور، يتكيء به على عزيمته، ويحث النفس على أن الخلاص قادم لامحالة.

رابعا الوحدة:

والوحدة هو ذاك الشعور العنيف الذي قد يسطو على الإنسان ويسلبه بهجة الحياة حتى ولو كان حوله الآلاف من البشر، فيرغب بالعزلة والتقوقع على ذاته إيهاما منه أن ذات الشعور يحقق له الراحة، وقد يجبر على التعايش مع ذلك الشعور ولا يتخيره بإرادته، نتيجة للانفصال أو انتهاء علاقة ما، أو فرضية القدر بموت الطرف الأهم في حياة أحدهم، فيكتب على شريكه الوحدة من بعده، أو الاغتراب النفسي الذي يجعل الفرد موجودا رغم تواجده في موطنه وبين عائلته.

وإن المجموعات القصصية لمحمد يونس يغلب عليها المناخ المأساوي المظلم الكئيب، فكان الشعور بالوحدة والعزلة متعمقًا في نفوس شخصياتها وأحداثهم، مما رسّخ لديهم الشعور بالمعاناة والألم، فالوحدة هي نتيجة حتمية لما يتعرض له الفرد في مجتمعه من تفكك

[1]) محمد يونس: حياة ريجنسي،آخر تحليقة لنورس مهاجر، مرجع سابق ، ص١٤

اجتماعي، وعلاقات منتهية لعدم تحقق مبدأ التفاهم، وقد أزاحت النصوص عن عدد من القصص التي تناولت هذا الموضوع منها قصة (اللوتس)، وفيها يفصح القاص عن هذا الشعور قائلا:" من وحشتي راقبت الأفق والبحر، وأشعلني وجدي، أما من نورس حبيب يصادقني وينقلني من المدينة المهتاجة هذه، أما من صوت أليف يبدد وحشة الأذن والعين والبؤبؤ، وناديت المدن والجبال والسهول والشطوط، وكان وجعي مرًّا ما وجدت الصوت ولا صاحبه، كجلود التماسيح حاصرني الصدى والفراغ مرًّا قاسيا"[1]، وهكذا تختلط مشاعر الخوف من المجهول بوحدة الإنسان، فيحيا وبداخله خنادقاً من الأحزان وترقّب للنهايات المجهولة ، وفي هذه اللحظات يكون الإنسان أكثر صدقاً مع نفسه ومع حاجته للآخرين، ورغم أن الآخر جحيمي عند سارتر، إلا أن الإنسان لا يتقدم ولايقاتل للوصول للنجاح وتحقيق الذات إلا بوجود آخر في عالمه يستحثه ويستنهض همته على المضي قدما ويبدد إحساسه القاتل بالوحدة.

وجاءت قصة (سفر ومواجع) لتضيء محور الوحدة من جانب آخر، فيقول القاص: " **المساء طويل، الليل طويل، غبش أسود يستوطن قلبه، خنازير برية تنهب زروعه، طيف والدته ينهره موبخا، تتمزق أشرعته، لا أب ولا أم ولا أخ، لا حبيبة ولا زوجة، لا كفن يظلّله، لاعشيرة ولا قبيلة يحتمي بأفخاذها، وبطونها، مطرودا، حزينا من رحمة ناسه وتاريخه، وبكى وتاه في الشوارع، وسيظل يتوه إلى أن يبدل الله هذه الأزمنة بأزمنة جديدة**"[2]، وهنا نجد مشاعر الوحدة قد تملّكت البطل، وجعلته يقاسي الليل طولا، رغم كونه لم تتغير عدد ساعاته، وهذا ما تتسبب فيه المشاعر السلبية تأثيراً على العامل الزمني طولا وقصرا، فالشعور بالزمن يصبح نسبيا خاضعا لمشاعر الفرح والحزن لدى الإنسان، " **ونلاحظ في القصة صورة الليل كموتيف يكون الوحدة العضوية للقصة، فالليل والجزائر _المدينة الخالدة_ والعشيقة المفقودة كذلك والسندباد المسافر ، جميعها تتّحد وتتداخل في نشاطها وتأثيرها من خلال مدينة تسبح في ظلام الليل مثل مسافر أرهقه السفر حتى ضعفت عزيمته على مواصلة الرحلة، هذا هو المنظور الذي يحتوي القصة من أولها إلى آخرها، ولنه لمن الأهمية بمكان أن يكون الليل**

[1]) محمد يونس: اللوتس ص ٧
[2]) محمد يونس : سفر ومواجع، ذكريات ومواجع على ضفاف عدن، ص٧٧

هو الموتيف في هذه القصة، فالليل نوع من البدئية ذات الأسطورية القدسية التي تساعد السندباد على استرجاع عزيمته لمواصلة السفر والبحث عن المجهول برؤية وعزيمة تتشكلان في جنح الليل، من أجل خلق حاجز يعمق أسرار الليل"[1]، وبذا ارتبطت معظم المشاعر السلبية بالليل، فهو موضع تراكم الأشجان لدى أصحاب الهموم، وأدعى لوحدة الإنسان والتفكر في حاله ومستقبله، والوحدة هي القلب الجامع لكل ماسبق من مشاعر تناولناها سلفا بالتوضيح، فالذي يعانيها، يعاني وجدا لعدم وجود حبيب، ويعتصر ألما وحزنا لاجترار ذكريات تؤلمه وتقض مضجعه، وينتابه الخوف من كل مايحيط به، ويفقد الثقة بمن حوله، فيصيبه القلق من كل شيء، فلا يهنأ بحياته.

وتأتي قصة(وجه مغترب في زحام المدينة)، لتؤكد تلك الفكرة السابقة عن أن الليل هو مجمع الأحزان فيوضح القاص شعور البطل بالوحدة فيقول: **" لكنك عندما تبدأ الليل ينشر خيوطه ومآسيه وفجائعه، فإنك تقف وجها لوجه مع مأساتك المتأصلة، وحيدا شريدا تطارد الفراغ والمرارة والبطالة في أزمنة مولانا الباشا والوالي والأمير والإمام"**[2]، وفي هذا مايوحي بأن الاغتراب عن الأهل والأوطان أدعى للوحدة واجترار الأحزان، خاصة إذا ماكان الفرد يعاني الفقر والبطالة ولا سند له، يقول أيضا:" **أحاول أن أبحث عن وجهي المتنائي في الوحدة وضباب المدينة، لكني أفشل في إيجاده"**[3]

وفي قصة (الرحيل إلى مدائن تيمورلنك)، يتيه البطل في دروب الاغتراب والمنفى فتتملّكه الوحدة والشعور بالضياع يقول الراوي:" **وحيدا أدلف المطارات، لا قامة، لا همس، لا بوح، فالضباب والفراغ، واحساس مر بخيبة مبطّنة تعلو أفقي، والناس يتعانقون، ويتقاذفون الأحلام والفيلات العريضة، منفيًّا تغتالني كآبات ورياح قالعة، ومومس تقامر على آخر أمنياتي، أتساقط مع قطرة ماء من ثقب إبرة"**[4] ، فما أصعب مشاعر الوحدة والتيه التي تتملك الفرد في وطن غير وطنه!.

---

[1]) محمد شاهين : آفاق الرواية البنية والمؤثرات ، ص١٧ موقع اتحاد كتاب العرب على شبكة الانترنت .
[2])محمد يونس: وجه مغترب في زحام المدينة، رقص سماح على أنغام زرياب، ص٢٣
[3]) المرجع السابق نفسه، ص٢٨
[4]) محمد يونس: الرحيل إلى مدائن تيمور لنك، رقص سماح على أنغام زرياب، ص ٦١

ويجب على الإنسان ألا يستجيب لمخاوفه إذا ما أصبح وحيدا أو أجبرته الظروف على الوحدة والاغتراب، فالحياة تشغل الجميع بكثرة الهموم فيها، وسرعة عجلة الزمن تجعل الفرد يتأقلم شيئا فشيء مع عزلته واغترابه، فيجب على الإنسان البحث عن تميزه وتأقلمه مع وحدته المفروضة عليه، رغم انعدام تواصله مع الآخرين.

خامسا الخوف والقلق:

من المشاعر الإنسانية التي تتملك الإنسان العاقل المفكّر دوما، والكثيرون ممن يقتلون الأشياء تفكيرا وبحثاً هم أكثرهم عرضة لمشاعر القلق من المستقبل والخوف من الحاضر، فهما جديران بتكدير حاضر الفرد، واستلابه مظاهر الحياة به.

ففي ذات القصة السابقة(ذكريات حمدان العلي الجامعية) يشوب مشاعر الحب لدى البطل الخوف من محبوبته فتكدر عليه صفو محبته، يقول القاص: " **ومع قناعته أنه ليس بحاجتها جنسيًّا إلا أنه أحبها، وصار أسيرا لأفيون ألفتها ونبلها، وخاف أن يكون رخوا أمامها، قد تطمع فيه وتمارس عليه السطوة كما العاهرات اللواتي تعلّمهن أمهاتهن أن يتدللن، ويتمنعن وهن الراغبات، حتى يظلّ عشاقهن أذلاء لهن سافحين كرامتهم وماء وجوههم**"[1]، وهنا يخاف البطل من تسلّط صديقته، وإذلالها له في العشق، كما وأنه من ضمن مسببات الحزن التي تناولها محمد يونس أيضا هو خوف البطل من المصطلحات العلمية يقول:" **أصبح يخاف هذه المصطلحات الصعبة المكررة، سوسيولوجيا، ابستيمولوجيا، انثروبولوجيا، مورفولوجيا**"[2] ، هكذا ساق لنا القاص نماذجا من الافتراضات المسببة لخوف الشخصيات وقلقها في حاضرها.

أما عن مشاعر الخوف الناتجة عن الإرهاب والتسلّط والقمع السياسي، فتحكي لنا قصة "كوابيس " مشاعر الخوف والرهبة يقول القاص :" تضيق الحلقة من حولي وأصرخ، لا أحد يسمع صراخي، أستنجد بكل الذين عرفتهم، يشيحون وجوههم عني كعادتهم،....لكزني آخر برمحه في ج بهتي وسألني غاضبا: هل تتمنى شيئا قبل أن تموت؟ لم تكن الأماني قادرة على الحضور، تتلاشى أمام الرماح المسلّطة، ضاقت فسحات الأمل، لم أجد شيئا أقوله

[1])محمد يونس: المرجع السابق نفسه ،ص٨٧
[2]) نفسه ص٨٦

للعسكري، كنت أعرف أني لا أريد شيئاً، طالما أن الأشياء لن تأتي أبدا "[1]، وفي هذا السرد ما يفصح عن مشاعر الخوف والرهبة التي انتابت البطل في هذه القصة الكابوسية، بتفاصيلها التي تستجلب التوتر والقلق.

وهنا يمكن الإشارة إلى نوع آخر من مشاعر الخوف التي تغاير مثيلها عند البشر، فها هو ذاك الشعور يستحضره القاص وقد تملّك الحيوان، في قصة (لقمة ورصاصات) ولكن لم يخف الكلب فيها من سطوة الإنسان وإنما استشعر خوفاً بغريزته من الإنسان الذي أمامه حينما حسبه سيأخذ منه (قطعة العظام) بفمه، وبالفعل قرر البطل من جراء جوعه مطاردة الكلب للاستيلاء على القطعة، يقول القاص عن حالة الكلب: " كان يتلذذ في قضم قطعة،تحجرت عينا الكلب، وبغريزته استشعر خوفاً، فعض على القطعة بقوة، تفرس الرجل، تفرس الكلب.... هنا يلتقي الغرباء ويموتون وينشجون آخر ألحانهم، وذكرياتهم، وقلّما يفترقون"[2] وتبدأ المطاردة مابين ثلاثيتهم البطل والكلب ورجال البوليس.

وختام القول :

نخلص من هذا أن أهم القضايا الوجدانية التي تناولها محمد يونس في قصصه، سلّط فيها الضوء على عدة مشاعر وجدانية تتملك الإنسان وتسيطر عليه، ولعلّه تناولها لأهميتها وتأثيرها على الحياة اليومية، مثل الحب، والخوف والقلق ،والوحدة، والحزن والألم، والخيانة، وأثر كل تلك المشاعر على الفرد مزيحاً الستار عن رؤية الكاتب الأدبية التي قد أفصح عنها من خلال شخوصه.

---

[1])محمد يونس: كوابيس، آخر تحليقة لنورس مهاجر،مرجع سابق ص ٢٨

[2]) محمد يونس، لقمة ورصاصات، رقص سماح على أنغام زرياب، ص ١٠٢ ،

وينظر في هذا المحور، قصة رحيل النهارات صوب البحر الأسفلتي(الرقص على أنغام زرياب) ، ومن مذكرات سمية بنت الحفيان(مليكة والنورس ووهران)، وحرّاس المدينة (آخر تحليقة لنورس مهاجر)و حالة وجد (اللوتس) ، وملاحات في عيون حالمة(ذكريات ومواجع على ضفاف عدن).

قائمة بمصادر البحث وأهم مراجعه

أولاً: مصادر الدراسة

١) آخر **تحليقة لنورس مهاجر** "مجموعة قصصية"، (القاهرة: دار سعاد الصباح، الطبعة الأولى، ١٩٩١م)، (القاهرة: الطبعة الثانية، إصدارات مكتبة الأسرة، ١٩٩٦م).

٢) **مليكة والنورس ووهران** "مجموعة قصصية، (دمشق: دار المنارة، ١٩٩٣م).

٣) **رقص سماح على أنغام زرياب** "مجموعة قصصية"، (بيروت: دار النافذة، ١٩٩٤م).

٤) **اللوتس** "مجموعة قصصية"، (بيروت: دار الكنوز الأدبيَّة، ١٩٩٥م).

٥) **ذكريات ومواجع على ضفافِ عدن**، "مجموعة قصصية"، (فاس – المغرب: منشورات مجلة مقاربات الأكاديمية المحكمة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م).

ثانيًا: مراجع الدراسة

١) حسين القباني **: فن كتابة القصة** ، مكتبة المحتسب للنشر والتوزيع ،١٩٤٩م

٢) حميد الحميداني، **بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي**، (بيروت: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩١م).

٣) رشاد رشدي، **فن القصة القصيرة**، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، دون تاريخ).

٤) صالح مفقوده : **المرأة في الرواية الجزائرية**،دار الشروق للطباعة ،ط٢، ٢٠٠٩ م،

٥) صلاح رزق، **القصة القصيرة دراسة نصية لتطور الشكل الفني**، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠١م).

٦) عبد الحميد شاكر، **سيكولوجية الإبداع الفني في القصة القصيرة**، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م).

٧) عبد الرحمن بدوي:**دراسات في الفلسفة الوجودية** ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،ط١

٨)عبد الرحيم الكردي :**البنية السردية للقصة القصيرة** ،ط٣،مكتبة الآداب، القاهرة ، ٢٠٠٥م

٩) عبد الملك مرتاض، **نظرية الرواية**، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى، ١٩٩١م).

١٠) محمد زغلول سلام، **دراسات في القصة العربية الحديثة**، (القاهرة: دار جامعة الدول العربية، الطبعة الأولى، ١٩٧١م).

١١))محمد شاهين : **آفاق الرواية البنية والمؤثرات** ،موقع اتحاد كتاب العرب على شبكة الانترنت.

١٢) محمد غنيمي هلال، **النقد الأدبي الحديث**، (القاهرة: دار نهضة مصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م).

١٣) محمد يوسف نجم، **فن القصة**، (بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م).

١٤) يوسف الشاروني، **دراسات في القصة القصيرة**، (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة، ١٩٨٩م)

ثالثا: الرسائل العلمية

١)إبراهيم بن منصور التركي، **البنية الفنية للقصة القصيرة عند عبد العزيز الصقعبي**، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم السعودية، ٢٠١٣م.

٢) سهام عمر علي عبد الباقي، **البنية الفنية للقصة القصيرة عند إدريس علي دراسة فنية**، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، ٢٠١٦م.

٣) صالح مفقوده : **المرأة في الرواية الجزائرية**، ط٢،دار الشروق للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر ٢٠٠٩

٤) نجوى إبراهيم أحمد عبده، **القصة القصيرة عند توفيق الحكيم دراسة فنية**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠١١م.

رابعا:الدوريات والمقالات

١) إيزابيل الليندي (Isabel Allende)، **القصة القصيرة**، ترجمة: محمد قصيبات، (جدة: مجلة نوافذ، النادي الثقافي الأدبي بجدة، العدد ٣٦، جمادى الأولى ١٤٢٨هـ – مايو ٢٠٠٧م).

٢) مامون فريزر جرار: **جناية القصة على المجتمع الإسلامي** ،مجلة الأمة، العدد٣، ربيع الأول ١٤٠٥هـ.